



عناصر الموضوع

** *	مفهوم الغفلة
137	الغفلة في الاستعمال القرآني
737	الألفاظ ذات الصلة
722	نفي الغفلة عن الله سبحانه
757	أنواع الغضلة
400	إسناد الغفلة للرسول الكريم
407	أسباب الغفلة
777	الآثار المترتبة على الغفلة
777	منهج القرآن الكريم في علاج الغفلة

مفهوم الغفلة

أولًا: المعنى اللغوي:

«الغين والفاء واللام، أصل صحيح يدل على ترك الشيء سهوًا، وربما كان عن عمد» (١٠). وعلى هذا فإن الغفلة تعني في اللغة: الترك والسهو، فيقال: «غَفَلَ عَنْهُ يَغْفُلُ غُفولًا وغَفْلَةً، وأَغْفَلَهُ عَنْهُ غَيْرُهُ وأَغْفَلَهُ: تركه وسها عنه» (٢٠).

وقال الراغب الأصفهاني: «وأرض غفلٌ: لا منار بها، ورجل غفلٌ: لم تسمه التجارب، وإغفال الكتاب تركه غير معجم» (٣).

ويتضح مما سبق أن مادة غفل تدور حول معنى: ترك الشيء سهوًا، وإذا أضيفت إليها الهمزة لتصبح أغفل، فإنها تكون بمعنى ترك الشيء عمدًا.

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

عرفها الراغب الأصفهاني بأنها: «سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ»^(٤). وعرفها الجرجاني بأنها: «متابعة النفس على ما تشتهيه»^(٥)، ثم ذكر تعريفًا ثانيًا لأحد السلف الصالح، بقوله: «الغفلة: إبطال الوقت بالبطالة»^(٢).

وعرفها المناوي بأنها: «فقد الشعور بما حقه أن يشعر به»(٧).

⁽V) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ص٢٥٢.



⁽١) مقاييس اللغة، ابن فارس ٤/ ٣٨٦.

⁽٢) لسان العرب، ابن منظور ١١/ ٤٩٧.

⁽٣) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٢٠٩.

⁽٤) المصدر السابق.

⁽٥) التعريفات، الجرجاني ص١٦٢.

⁽٦) المصدر السابق.

الغفلة في الاستعمال القرآني

وردت مادة (غفل) في القرآن الكريم (٣٥) مرة (١). والصيغ التي وردت، هي:

المثال	عدد المرات	الصيغة
﴿ وَلَا نُعْلِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ ، عَن ذِكْرِنَا ﴾ [الكهف: ٢٨]	١٨	الفعل الماضي
﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغَفَّلُونَ عَنَ أَسْلِحَتِكُمُ وَأَمْتِعَتِكُمُ النساء:١٠٢]	١	الفعل المضارع
﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَنْفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ	YA	اسم الفاعل
﴿ أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةِ مُعْرِضُونَ الْأَنبِياء:١]	٥	مصدر

وجاءت الغفلة في القرآن بمعناها في اللغة، وهي مصدر غفل، أي: ترك الشيء سهوًا، وربماكان عن عمد(٢).

⁽۱) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٥٠٣. (٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٨٤/٢٨٢.

الألفاظ ذات الصلة

١ السهو:

السهو لغةً:

هو النسيان والغفلة، وحملت المرأة ولدها سهوًا، أي: على حيض، والسهو: السكون، والمساهاة: حسن المخالفة(١).

السهو اصطلاحًا: «ذهول عن المعلوم إن خطر على البال، ويتنبه صاحبه بأدنى تنبيه» (١٠). الصلة بين السهو والغفلة:

من خلال التعريفين: اللغوي، والاصطلاحي للسهو يتبين صحة ما ذهب إليه الأحمد نكري بأن السهو حالة متوسطة بين الإدراك والنسيان (٣)، أما الغفلة فقد تكون عن إدراك أو نسيان أو حالة متوسطة بينهما، وعلى هذا فإن الغفلة أشمل من السهو.

٢ النسيان:

النسيان لغة:

ترك الإنسان ضبط ما استودع؛ إما لضعف قلبه، وإما عن غفلة، وإما عن قصدٍ؛ حتى ينحذف عن القلب ذكره (٤). فالنسيان ضد الذكر والحفظ، والنسيان: الترك والتضييع والتفريط (٥).

النسيان اصطلاحًا:

لا يخرج عن معناه اللغوي.

الصلة بين النسيان والغفلة:

من خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي للنسيان يتبين أن النسيان هو الغفلة عن الذي لا يأثم عليه المسلم، ولا يثاب على تركه أيضًا، أما الغفلة فقد تكون عن إدراك أو نسيان أو حالة متوسطة بينهما، وعلى هذا فإن الغفلة أشمل من النسيان.

⁽٥) انظر: جامع البيان، الطبري ٥/ ١٥٥، إصلاح الوجوه والنظائر ص ٤٥٤-٥٥٥، نزهة الأعين النواظر ص ٥٧٩-٥٨٠.



⁽١) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي ص١٢٩٨، مجمل اللغة، ابن فارس ص٥٧٥.

⁽Y) مقاليد العلوم، السيوطي ص٦٥.

⁽٣) انظر: جامع العلوم في أصطلاحات الفنون ٢/ ١٣٩.

 ⁽٤) المفردات ٢/ ٣٤٪.

٣ الذكر:

الذكر لغة:

«ضد النسيان، ذَكَرْتُ الشَّيَّ أَذْكُرُهُ ذِكْرًا وذُكْرًا، وهُوَ مِنِّي عَلَى ذِكْرٍ وعَلَى ذُكْرٍ، والضم أعلى، وذكرته ذكرًا حسنًا. وذكرته ذكرًا حسنًا. وذكرته نادرًا على الله أن تفعل كذا وكذا كالقسم»(١).

الذكر اصطلاحًا:

استحضار الله تعالى في سكنة من السكنات، أو في حركة من الحركات.

الصلة بين الذكر والغفلة:

من خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي للذكر يتبين أنه مرتبط بالغفلة، من حيث إن من ترك الذكر فقد دخل في وحل الغفلة، التي هي محل ترك معية الله تعالى ونصرته، أما الغفلة فهي متابعة النفس على ما تشتهيه، فلا يتداخل الذكر مع الغفلة، فهما نقيضان.

٤ السمد:

السمد لغة:

اللهو، فالسامد هو اللاهي؛ لأن اللاهي يمضي في أمره غير معرج ولا متمكث (٢). السمد اصطلاحًا:

لهوٌ يعترض من يمضي في طريقه غير متريث ولا عالم بما يريد، ولا ما سيحل له. الصلة بين السمد والغفلة:

من خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي للسمد تبين أنه يفيد اللهو بسبب عدم معرفة الواقع، وعدم معرفة عواقب الأمور، أما الغفلة فقد تكون عن إدراك أو نسيان، أو حالة متوسطة بينهما، وعلى هذا فإن الغفلة أشمل من السمد.

⁽١) جمهرة اللغة، ابن دريد ٢/ ٢٩٤.

⁽٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٣/ ١٠٠.

نفي الغفلة عن الله سيحانه

نزه الله تعالى نفسه الكريمة عن الغفلة في كتابه، وسوف نتناول ذلك بالبيان فيما يأتي:

أولًا: حفظ الله لأعمال العباد:

ورد في القرآن الكريم ما فيه تنزيه لله تعالى عن غفلة أعمال العباد في الدنيا، من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إنزهتم وإشكعيل وإشكاق ويقثوب وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَدَرَئُ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمِّن كَتُمَ شَهِكَدَةً فِي مَلُونَ ﴾ [الأنعام:١٣٢]. عِندُهُ، مِنَ ٱللَّهُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَنفِلِ عَمَّا تَعَمَّلُونَ ﴾ [القرة: ١٤٠].

> فقد زعمت اليهود والنصاري أن هؤلاء الأنبياء -عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- كانوا هودًا أو نصارى، فيخاطب الله تعالى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم؛ ليقول لهم: هل أنتم أعلم بهؤلاء الأنبياء أم الله تعالى المنزه عن كل نقص. ثم تبين الآية الكريمة -بصيغة الاستفهام التقريري- أنه ليس هناك أظلم ممن كتم الإسلام وهو يعلم أنه دين الله تعالى، وكتم محمدًا صلى الله عليه وسلم وهو يعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاليهود والنصاري يجدون ذلك مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل،

ومع ذلك يتبعون الأهواء^(١)، وجاءت الفاصلة في الآية الكريمة بالنفي المحض للغفلة في حق الذات العلية المنزه عن أية منقصة، ولعل السبب في التذييل بنفي الغفلة عن عملهم أنهم لم يكتفوا بالقول والكتم في القلب؛ بل إن ذلك الافتراء منهم تعدى إلى جوارحهم، والله أعلم.

وقد وردت آية كريمة تبين أن الله تعالى قد جعل درجات لعمل الخلق، وأنه ليس بغافل عنهم، وهي قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَنتُ مِّمَا عَكِمْلُوا فَمَا رَبُّكَ بِغَنْفِلِ عَمَّا

والمعنى: إن الآية السابقة بينت أن الله تعالى لا يهلك أمة بظلم فعلته وهم غافلون، وليس ربك الله المالك المتصرف في شؤون خلقه بغافلٍ عما يعمل خلقه من الثقلين: الإنس والجن، فيجزي من استحق النار بالنار، ويثيب من استحق الجنة بالجنة رحمةً منه -تبارك وتعالى-، والدليل على أن الجن لهم ثواب وعقاب الإنس نفسه هو قوله تعالى: ﴿أَوْلَيْهِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِنَ ٱلِجْنِ وَٱلْإِنْسُ إِنَّهُمْ كَاثُواْ خَسِرِينَ اللَّ وَلِكُلِّي دَرَيَخَتُ يِّمَا عَمِلُواًّ أُ وَلِيُوفِيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأحقاف: 1-91](٢).

⁽١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم

⁽٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي

وقد وردت في سياق شهادة هؤلاء اليهود

في عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

على هذا الميثاق الذي أخذ على أسلافهم،

تأنيبًا لهم على تضييع أحكام ما في أيديهم

من التوراة التي كانوا يقرون بحكمها، ثم هم أمام هذا العهد الموثق بالأيمان (الميثاق)

ينقضونه بطريقة سيئة، ولا يلتزمون بأي

من بنوده، وليس الأمر إلى هذا الحد، بل

إنهم يعلقون هذا الإخلال بأنه -زعمًا

منهم- حكم التوراة، والله تعالى يسألهم؟

تأنيبًا لضمائرهم: أفتؤمنون ببعض التوراة،

وتكفرون بالبعض الآخر، فتؤمنون بمفاداة

الأسرى التي في التوراة، ولكن في التوراة

أيضًا عدم القتل لأنفسهم، وعدم الإخراج

من الديار، من يشرك بالله تعالى، ويعبد

الأوثان من دونه ابتغاء عرض من عرض

الدنيا، فبهذا كله يكفر اليهود رغم أنه في

ويبين الله تعالى أن من يفعل فعلة بني

إسرائيل القدامي، كما فعل اليهود في عصر

التوراة أيضًا، وهم يعلمون ذلك(٢).

وقوله: ﴿يَعْمَلُونَ﴾، حيث قرأ ابن عامر وحده: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ على الخطاب، وقرأ الباقون: ﴿يَعْمَلُونَ﴾، وحجة كافة القراء عدا ابن عامر أن الآية السابقة في سياق الغيبة (١).

ثانيًا: توفية الجزاء من الله لعباده:

فإن هذه الآية الكريمة وردت في سياق الحديث عن بني إسرائيل، حيث أخذ الله عليهم العهد الموثق بالأيمان ألا يسفك بعضهم دماء بعض، وألا يخرجوا أنفسهم من ديارهم، ثم أقروا على أنفسهم، وحال يهود عصر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أنهم يشهدون على هذا الإقرار،

⁽۲) انظر: جامع البيان، الطبري ۳۰۳/۲، تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين ۱۵۷/۱.

الرسول صلى الله عليه وسلم حينما غدروا ونكثوا عهودهم، فإن لهم عقوبة الخزي في الحياة الدنيا، كإخراج بني النضير إلى الشام، وقتل بني قريظة، وقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم، والأمر الأصعب هو أن

٧/ ٨٧، لباب التأويل، الخازن ٢/ ٩٥١.
 انظر: حجة القراءات، ابن زنجلة ص٢٧٢.

الذي أصابهم في الدنيا من الخزي والعقوبة لم يكن كفارة لذنوبهم ولكنهم: ﴿وَيَوْمَ الْقِيْكُمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِ ٱلْمَذَابِ ﴿ وَلا يخفى على الله تعالى من أعمالهم شيء، فيجازون بأعمالهم.

ثم تستأنف الآية التالية لها ببيان صفاتهم، ومن ثم حالهم، بقوله: ﴿ أُوْلَتُمِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرُوا الدنيا الْحَيَوْةَ ٱلدُّنْيَا مِا لَآخِرَةَ ﴾ يعني: اختاروا الدنيا على الآخرة؛ ﴿ فَلَا يُحَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْمَدَابُ وَلَا هُمُّ يُنْصَرُونَ ﴾، أي: ليس لهم مانع يمنعهم من عذاب الله تعالى في الآخرة (١٠).

أنواع الغفلة

ذكر القرآن الكريم نوعين من الغفلة: الغفلة الممدوحة، والغفلة المذمومة، وسوف نتناولهما بالبيان فيما يأتى:

أولًا: الغفلة الممدوحة:

الغفلة إذا أطلقت فإنها تعني تلك الصفة المذمومة التي هي السهو والنسيان وقلة من التحفظ والتذكر، لكن القرآن الكريم بين أن الطهارة والعفة هما بمثابة غفلة عن الحرام وغضب الله تعالى، كما ورد ذلك في شأن المؤمنات الطاهرات اللاتي يقع عليهن الإيذاء من الأفاكين الذين يشيعون الفحشاء والمنكر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّيِنَ يَرْمُونَ ٱلْمُحَمَّنَتِ الْمُحَمَّنَتِ الْعَنْفِلَتِ ٱلْمُحْمَّنَتِ الْمُنْفِلَةِ ٱلْمُنْفِلَةِ الْمُخْمِنَّةِ لَمُنْفُولًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْاَحْرَةِ وَلَهُمَّ عَلَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ٢٣].

وهذه ألآية تأتي في سياق بيان طهارة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما، فبعد أن ذكرت الآية السابقة تحبيب العفو والصفح من أبي بكر الصديق رضي الله عنه على مسطح؛ رجاء مغفرة الله تعالى ورحمته، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يكرمه بما أعطاه الله، وحينما قذف ابنته زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمنا عائشة رضي الله عنها، وأقيم عليه حد القذف، منعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه القذف، منعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه

⁽۱) انظر: تفسير السمرقندي ۱/۱، تفسير القرآن، السمعاني ۱/٤/١.

من عطاء الله الذي آتاه، فلما نزلت الآية الثانية والعشرون من السورة قال: بلى أحب أن يغفر الله لي، ورجع إلى وصل مسطح، ثم تأتي الآية التالية؛ لتبين أن من يقذف الطاهرات العفيفة كأم عبد الله عائشة رضي الله عنها فعليه لعنة في الدنيا والآخرة، ويضاف إلى اللعنة ﴿عَذَابُ ﴾، وصفته الآية بأنه ﴿عَظِيمٌ ﴾.

ورغم أن هذه الآية الكريمة نزلت في حق أمنا عائشة رضي الله عنها، إلا أنها عامة في حق كل غافلة عن الفواحش، وعقاب من يقذفهن (١)؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ابتلى هذا الابتلاء العظيم في أهل بيته؛ لتترسخ في شريعتنا مبادئ الغفلة المحمودة، الدالة على سماحة الإسلام الحنيف، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يتهم في عرضه، فعائشة رضى الله عنها زوجه، وأبوها الصديق، ومن اتهمت فيه لم يعهد عليه إلا كل خير، والصحابة رضي الله عنهم في حيرة من أمرهم، والوحى انقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرًا. إن كل أحداث ذلك الابتلاء إنما كان لأجل ترسيخ المبادئ العامة للغفلة المحمودة، التي تظل فاعلةً في كل زمان

ومكان، ومن هذه المبادئ:

 أن يترسخ في القلوب والأذهان بأن ذلك الابتلاء هو عين الخير.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِذْكِ عُصْبَةً مِنكُّرٌ لَا تَصْبُوهُ مَثرًا لَّكُمْ بَلْ هُو خَيْرٌ لَكُوْ لِكُلِّ مَنكُرٌ لَا تَصْبُوهُ مَثرًا لَكُمْ بَلْ هُو خَيْرٌ لَكُوْ لِكُلِ مَنهُمْ لَهُ عَذَابُ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١١].

فقد سمي من هؤلاء الذين جاؤوا بالإفك: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش (٢).

ومع ذلك فإن هؤلاء الصحابة استمروا على إيمانهم، ويوصفون بأنهم الرعيل الأول، وهذا يعلم الأمة جميعًا أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وأنه ليس بأفضل من طاعة الله تعالى فيمن عصى الله في ذلك المطيع، كما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من رموا أم المؤمنين رضي الله عنها وصفوان بن المعطل رضي الله عنه، وكما كان من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكما كان من أبي بكر الصديق رضي الله بن أثاثة بعد الخطاب القرآني: ﴿ وَلَا يَأْتُلُ اللَّهُ اللَّهُ عَالِهُ وَلَي مَعْواً أَلُوا اللَّهُ عَد وَالسَّعَةِ أَن يُؤَوّا أَوْلِي اللَّهُ وَلَي مَعْواً وَلَي اللَّهُ وَلَي اللَّهُ وَلَي اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّه وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّه وَلَا اللّه وَلَا اللّه وَلَا اللّه اللّه اللّه اللّه وَلَا اللّه وَلَا اللّه وَلَا اللّه وَلَا اللّه وَلْهُ اللّه وَلَا اللّه اللّه اللّه وَلَا اللّه وَلْمُ اللّه وَلَا اللّ

⁽۱) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي ٧/ ٨١، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٨٨ ٢٠٥٠، إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢/ ١٦٥.

⁽٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٩/١٩.

⁽٣) انظر: فتح البيان، صديق خان ٩/ ١٨٩.

وإن مثل هذا الخلق الرفيع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضى الله عنه إنما له صفة التغافل في القلب واللسان لمصلحة الدعوة الإسلامية، وهو جزء لا يتجزأ من الغفلة المحمودة.

٢. حسن الظن برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهل بيته، والمؤمنين بعضهم لبعض.

قال تعالى: ﴿ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظُنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُوْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَلْذَا إِفْكُ مُّبِينٌ ﴾ [النور: ١٢].

وهي معاتبة إلهية لأولئك المؤمنين؛ لأنهم لم يتحركوا التحرك الذي ينشر حسن الظن برسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والمؤمنين جميعًا، فلو أنهم بمجرد سماعهم لهذا الخبر أحسنوا الظن بإخوانهم كلهم خيرًا، وبينوا أن هذا الحدث إنما هو كذبٌ بين، ويبين الله تعالى أن ذلك التصرف الذي كان يتوجب على المؤمنين بدهيٌ ولا يحتاج إلى مزيد كلفة من التفكير؛ فلا يوجد أربعة شهداء، فإذ لم يوجد شهداء فمن قذف هو الكاذب^(١).

ولا شك أن هذا الأمر هو من أهم مبادئ وأسس الغفلة المحمودة، فإحقاق الحق وإبطال الباطل إنما ذلك إغفال للشر،

المسلمين هو بحد ذاته غفلة؛ ولذلك وجد

وإظهار الخير، كما أن القرآن الكريم يبين أن

تَعُودُواْ لِمِثْلِمِةَ أَبِدًا إِن كُنْمُ مُّوْمِنِينَ ﴾ [النور: ١٧]. فقد ذكر القرآن الكريم أن من وقفوا موقف الحديث بغير علم والتكلم باللسان دون التفكير بالقلب تجاه هذا الانتهاك

الصارخ تجاه عرض الرسول محمد صلى

الله عليه وسلم، بأنهم يذكرهم الله تعالى بآيات الكتاب المبين؛ حتى لا يعودوا

لمثل الفعل الذي فعلوه، ثم تذيل الآية

بأسلوب الإلهاب والإغراء لصفة الإيمان،

فيقول تعالى: ﴿إِن كُنُّمُ مُّؤْمِنِينَ ﴾، أي: إن

كنتم تعتبرون وتتعظون بعظات الله تعالى،

وتأتمرون لأمره، وتنتهون عن نهيه (٢). فإن كنتم كذلك فلا تعودوا لما وقعتم به. وعدم الشعور الصادق بحجم مصاب

⁽١) انظر: تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين (٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٩/ ١٣٣.



المؤمنين بسبب سلبيتهم وغفلتهم عن ذلك الدور المنوط بهم، فقد وقعوا في الحرج في أخص خصوص الدين، وهو عرض الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وهذا يعلم المؤمنين جميعًا على اختلاف أزمانهم وأماكنهم أن يقوموا بواجبهم في الدفاع عن الدين، وليس بردود الأفعال التي قد تكون ملاحقة لخيوط الشر، ومن ثم الوقوع في فخوخه. وأما تفسير قوله تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن

من الصحابة من تحرك تجاه هذا المصاب الأليم، وهذه بعض مواقف منهم:

الموقف الأول: شهادة أسامة بن زيد رضي الله عنه بأنه لم يعلم عنها إلا كل خير، فقد جاء في صحيح البخاري: (فأما أسامة فقال: أهلك ولا نعلم إلا خيرًا)(١).

الموقف الثاني: موقف الجارية بريرة، وذلك فيما روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حيث قالت: (وقالت بريرة: إن رأيت عليها أمرًا أغمصه أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن، فتأكله)(٢).

الموقف الثالث: قول الرسول صلى الله عليه وسلم عمن آذاه في أهل بيته، وردة فعل الصحابة رضي الله عنهم، حيث قال عليه السلام: (من يعذرنا في رجل بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت من أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا).

إن كل ما حدث في هذه الحادثة الصعبة

المنابر، ومن أعظم أنواع الاحترام لهم السير على نهجهم، فهم السلف الصالح، وهم خير القرون، وإن اتباع هذا المنهج، والانسلاخ عن منهج الباطل والإغفال عنه، هو قمة الالتزام بشرع الله تعالى. ثانيًا: الغفلة المذمومة: سبقت الإشارة أن الغفلة في السياق القرآني -غاليًا - تكون مذمومة، باستثناء ما القرآني -غاليًا - تكون مذمومة، باستثناء ما

على المسلمين عامةً، إنما كانت بتقدير الله

تعالى وعلمه؛ حتى تترسخ في الأذهان

والقلوب وجوب الذب عن الرسول صلى

الله عليه وسلم وصحابته الكرام، ومن ثم

التقدير والتبجيل والاحترام لهم في شتى

سبقت الإشارة أن الغفلة في السياق القرآني -غالبًا- تكون مذمومة، باستثناء ما ذكر في ذلك الكلام السابق، وسيتم التركيز - إن شاء الله تعالى - فيما سيأتي على أنواع الغفلة المذمومة، وذلك كالآتي:

٣. الغفلة عن التفكر في آيات الله
 الكونية والشرعية.

ورد ذلك في آيات، منها: قوله تعالى: ﴿ فَٱنْنَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَهُمْ فِي ٱلْمِيدِ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا مِثَايَنْنِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَنْفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

والمعنى: رغم كل الآيات الكونية والشرعية التي نزلت إلى فرعون وقومه، بما من شأن أي إنسان يراها ويلمسها أن يؤمن بالله تعالى، إلا أنهم بارزوا الله تعالى بالكفر،

⁽۱) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب إذا عدل رجل أحدًا، فقال: لا نعلم إلا خيرًا، أو قال: ما علمت إلا خيرًا / ۲۲۳۷.

⁽٢) المصدر السابق.

⁽٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب إذا عدل رجل أحدًا، فقال: لا نعلم إلا خيرًا، أو قال: ما علمت إلا خيرًا / ٢٦٣٧.

ونكث العهود لمرات عديدة، فاستحقوا النكال، بانتقام الله تعالى منهم انتقامًا ليس كذلك الذي كان الله تعالى يؤذيهم به، بل انتقام إهلاك؛ لأنهم وصلوا إلى محض العناد، وهذا الانتقام هو الإغراق في البحر؛ بسبب أنهم كذبوا بآيات الله تعالى الشرعية والكونية، على ما لها من العظمة بما عرف من صحة نسبتها إلى الله تعالى، ودل سبحانه على أنهم كذبوا بغير شبهة عرضت لهم، بل عنادًا بقوله: ﴿وَكَانُوا ﴾ أي: جبلة وطبعًا عن هذه الآيات ﴿عَنْفِلِينَ ﴾، فحالهم بعد هذه الآيات التي نزلت، كحالهم قبلها؛ فكأن هذه الآيات لم تأتهم أصلًا، فاستحقوا الأخذ بالعقاب (١).

الغفلة عن الآخرة وما فيها من حساب وجزاء.

ورد ذلك في آيات، منها: ما ورد في كتاب الله تعالى ما يبين أن الكفار يقتصر فهمهم على ظاهر الحياة الدنيا، وأن الآخرة ليست في حسابات هؤلاء الكفار، فهم عنها غافلون، وهذه الآية هي قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَلِهِ رَامِّنَ لُلْمَوْقَ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَنِ الْآخِرَةِ هُمْ الروم: ٧].

فقد بين الله تعالى في الآيات السابقة أنه وعد المؤمنين بنصر الله، وأن وعد الله لا خلف فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْمَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْمَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةِ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم: ٣٩].

ورد في تفسيرها حديث شريف، وهو ما أورده أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، فيشرئبون وينظرون، فيقول: وهل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيقول: وهل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنَذِرْهُمْ يَوْمَ الْمُسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي

⁽١) انظر: نظم الدرر، البقاعي ٨/ ٤٣.



حقيقة هذا الوعد، وتبين هذه الآية سبب عدم علمهم بوعد الله تعالى، وهو أن «علمهم منحصرٌ في الدنيا، وأيضًا لا يعلمون الدنيا كما هي، وإنما يعلمون ظاهرها، وهي ملاذها وملاعبها، ولا يعلمون باطنها، وهي مضارها ومتاعبها، ويعلمون وجودها الظاهر، ولا يعلمون فناءها» (")، وهم عن الدار الآخرة غافلون غفلة هم سببها؛ إذ إن جميع جوانب الهداية حاصلة عندهم، وفي ذاكرتهم، ومع ذلك فإنهم قد آثروا أن يكونوا في غفلةٍ عن الخير؛ بدافع أهوائهم (").

⁽٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٥/ ٨١.

⁽٣) انظر: المصدر السابق.

غَفَلَةٍ ﴾ [مريم: ٣٩]. وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ﴿وَمُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم: ٣٩])(١).

وفي رواية مسلم: (وأشار بيده إلى النار)(٢).

وهذا التفسير يبين خطر الغفلة التي تحل على من يقضي حياته في غير الإيمان بالله، بل ولربما يكذب ويحارب هذا الغافل دين الله تعالى، فربط الغفلة بالآخرة أمر مهم؟ حتى يذكر هذا الغافل بالله تعالى، وأنه سيبعث بعد موته لهذه الدار الآخرة: إما إلى جنة أو إلى نار، وعندما يذبح الموت، ويخلد من استقر في النعيم على ما هو عليه، فلا موت لنعيمه فضلًا عن حياته، وهكذا أهل النار يخلدون فيها، فلا موت لتعذبهم فضلًا عن حياته، وهكذا فضلًا عن حياته،

وقد ورد في القرآن الكريم ما يبين اقتراب الوعد الحق الذي هو القيامة، مع بيان طبيعة حال الكافرين يومئذ وتحسرهم؛ لأنهم كانوا في غفلة من ذلك اليوم، واعترافهم الواضح بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم، ومتجاوزين لكل الحدود، وذلك في قوله تعالى:

أَبْصَائِرُ ٱلَّذِينَ كُفَرُواْ يَنَوَيْلَنَا قَدْحُنَّا فِي عَفْلَةِ مِنْ هَنذَا بَلْ حُنَّا ظَنلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

يا ويلنا قد كنا نغفل عن ذلك اليوم رغم أنه الحق، بل إننا كنا ظالمين لأنفسنا بمعاصينا، ووضعنا العبادة في غير مواضعها (٣٠٠).

ومن المعلوم أن هذه الآية ذكرت في سياق بيان حكمة الله تعالى في خلقه الكافرين الذين حق عليهم الهلاك، فهم لا رجعة لهم إلى الدنيا، ثم بيان بعض علامات الساعة، ومنها يأجوج ومأجوج الذين هم من كل حدب ينسلون، فإن هذه الشواهد وغيرها مما ذكر سابقًا في الآية المذكورة يدلل على مدى الغفلة التي وقع فيها أولئك الكافرون، فلم يملكوا إلا الاعتراف الصريح بغفلتهم وعدم انتباههم لكل الإشارات التحذيرية التي كانت تساق إليهم؛ لعلهم يرجعون عن ظلمهم وتجاوزهم للحدود.

وأَمَّا قُولُهُ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنَّ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْمِثْمَ حَدِيدُ ﴾ [ق: ٢٢].

فهذه الآية توضح أن الإنسان الكافر بعد أن يرى بعضًا من أهوال يوم القيامة يخاطبه الله تعالى بقوله: «لقد كنت في غفلة من هذا الذي عاينت اليوم -أيها الإنسان- من الأهوال والشدائد، ﴿نَكْتَفُنَا عَنكَ غِمَاآءَكَ ﴾

⁽۱) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: (وأنذرهم يوم الحسرة)، ٦/ ٩٣، رقم ٤٧٣٠.

⁽٢) أخراجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم ٢١٨٨/٤٢٨.

⁽٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣) ١٨/٨.

يقول: فجلينا ذلك لك، وأظهرناه لعينيك، حتى رأيته وعاينته، فزالت الغفلة عنك»(١).

٥. الغفلة عن الذكر وتدبر كتاب الله تعالى.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يبين خطر الغفلة عن الدعاء الذي هو العبادة والذكر في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُ مِمَّن يَدّعُوا مِن دُونِ اللّهِ مَن لّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيكَمَةِ وَهُمَّ عَن دُعْنِ اللّهِ مِن لّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيكَمَةِ وَهُمَّ عَن دُعْنَ إِلَى يَوْمِ الْقِيكَمَةِ وَهُمَّ عَن دُعْنَ إِلَيْ عَلَى اللّهِ عَنْ اللّهِ عَن اللّهِ عَن اللّهِ عَنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّ

فلا أحد أشد ضلالة من الذي يدعو من دون الله تعالى «حجرًا لا يستجيب له إذا دعاه أبدًا، ولا ينفعهم، وتلك الحجارة التي يعبدونها غافلة عن دعاء هؤلاء الكفار، لا تعقل ولا تفهم»(٢).

إن هذه الآية الكريمة بينت وحذرت أولئك الغافلين بأن ما يعبدون من دون الله تعالى هي أصلًا غافلة عما يدعو هؤلاء الكفار، فإنهم قد فعلوا ما ينكره العقل ابتداء فضلًا عن عدم تلبيتهم نداء ربهم، فإن هؤلاء الكفار قد دخلوا في وحل الغفلة من أوسع أبوابها، فاستحقوا أن يوصفوا بأنهم أشد الخلق ضلالة.

الغفلة عن عهد الله تعالى وميثاقه.

وقد ورد ذلك جليًّا في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيَ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ

- (۱) جامع البيان، الطبري ۲۲/ ٣٥٠.
- (۲) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب
 (۲) ١٨/٣/١١.

ذُرِيَّنَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسَتُ بِرَيِكُمْ قَالُواْ

بَنْ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيكَمَةِ إِنَّا كُنَا عَنْ

هَذَا غَنفِلِينَ (آنَ أَقُولُواْ إِنَّمَ الْقِيكَمَةِ إِنَّا كُنَا عَنْ

هَذَا غَنفِلِينَ (آنَ أَوْ نَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرِكَ ءَابَا وَنَا مِن

قَبْلُ وَكُنَا فُرْرِيَةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَنْ لِلكُناكِكُنَا عِمَا فَعَلَ

الْمُبْطِلُونَ (آنَ وَكَذَلِكَ نَفْضِلُ الْآيَنَةِ وَلَمَلَهُمْ

الْمُبْطِلُونَ (آنَ وَكَذَلِكَ نَفْضِلُ الْآيَنَةِ وَلَمَلَهُمْ

يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢ – ١٧٤].

فإن هذه الآيات الكريمة تبين الميثاق الأول الذي أخذ على بني آدم، وهم في عالم الذر، فيقول الله تعالى: واذكر يا محمد صلى الله عليه وسلم حين «استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم، فقررهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك، وإقرارهم به»(٣).

فقال الله تعالى لهم: ألست بربكم الذي يستحق العبادة وحده؟ فقالوا جميعًا: بلى، شهد بعضنا على بعض، فأقروه بذلك والتزموا، ثم يذكر الله تعالى عذرين باطلين لهما، الأول: القول من المقرين بوحدانية الله تعالى إنا كنا لا نعلم ذلك، وكنا في عدم انتباه من ذلك، فهذا باطل؛ لأنهم مشهود عليهم بما أقروه وهم في عالم الذر؛ فهم مولودون على هذه الفطرة، ولا مجال لهم للتذرع بالغفلة. والعذر الآخر قول هؤلاء المقرين في عالم الذر بوحدانية الله تعالى: إنما ولدنا فوجدنا آباءنا مشركين، فاتبعنا منهاجهم، أفتهلكنا يا ربنا بإشراك من أشرك منهاجهم، أفتهلكنا يا ربنا بإشراك من أشرك

⁽٣) جامع البيان، الطبري ١٣/ ٢٢٢.

من آبائنا، واتباعنا منهاجهم على جهل منا بالحق؟!(١).

٧. الغفلة عن تربص الأعداء.

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّكَاؤَةَ فَلْنَعُمْ طَآهِكُةُ مِنهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُدُواْ أَسْلِحَتُهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآبِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآهِنَةُ أُخْرَكِ لَمْ يُصَكُّواْ فَلْيُصَلُوا مَعَكَ طَآهُدُواْ خَذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتُهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَلْيَعْمَدُواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُدُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتُهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مَعَكَ عَلَيْكُمُ مَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَيَّكُو فَيَعِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَنْ فَكُوا عَذَرَهُمْ وَخَدُواْ حِذْرَكُمْ أَوْنَعَيَكُو فَيَعِيلُونَ اللهَ عَلَيْكُمْ مَنْ فَكُن مِن مَطْمِ أَوْ كُنتُم مَرْضَى أَن الله عَلَيْكُمْ وَخُدُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللهَ أَعَدَ اللهُ مَنْ فَكُولُوا عِذْرَكُمْ إِنَّ اللهَ أَعَدَ اللهُ كَنْ مِنْ مَا اللهُ كَنْ فِي أَنْ اللهَ أَعَدَ اللهُ اللهُ كَنْ مِنْ مَلْمُ وَخُدُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللهَ أَعَدَ اللهُ كَنْ مِنْ مَا اللهُ كَنْ أَلِهُ اللهُ اللهُ اللهُ كَنْ إِنْ اللهُ أَعْمِينًا ﴾ [النساء: ١٠٢].

أخرج أحمد، وأبو داود، والنسائي عن أبي عياش الزرقي قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان، فاستقبلنا المشركون، عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاةً هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم. قال: فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات بين الظهر والعصر: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمُ السَّكَوْةَ ﴾ قال: فحضرت، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم،

فأخذوا السلاح، قال: فصففنا خلفه صفين. قال: ثم ركع وركعنا جميعًا، ثم رفع، فرفعنا جميعًا، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالصف الذي يليه، والآخرون قيام يحرسونهم، فلما سجدوا وقاموا، جلس الآخرون، فسجدوا في مكانهم، ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، قال: ثم ركع، فركعوا جميعًا، ثم رفع، فرفعوا جميعًا، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم والصف الذي يليه، والآخرون قيامٌ يحرسونهم، فلما يليه، والآخرون قيامٌ يحرسونهم، فلما عليهم، ثم انصرف، قال: فصلاها رسول الله عليه وسلم مرتين: مرة بعسفان، ومرة بأرض بني سليم) (١٢)(٣).

ومن الآية وسبب نزولها تعرف كيفية صلاة الخوف، ويتبين أيضًا أن من أساسيات الالتزام بالدين ألا يغفل المؤمن عن تربص الأعداء؛ ولذا شرعت صلاة الخوف لأهداف عظيمة، منها: اغتنام فرصة وجود

⁽١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان ١١٨/٥.

⁽۲) أخرجه الإمام في مسنده، ۲۷/ ۱۲۰، رقم ۱۲۰۸، وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، تفريع صلاة المسافر، باب صلاة الخوف، ۲۱۲۱، رقم ۱۲۳۱، والنسائي في سننه، كتاب صلاة الخوف، ۲۳۲، والنسائي في سننه، كتاب صلاة الخوف، ۳/ ۱۷۲ رقم ۱۵۶۹. قال محقق المسند: «إسناده صحيح، رجاله تقات، رجال الشيخين، غير أن صحابيه لم يخرج له سوى أبي داود والنسائي».

 ⁽٣) المحرر في أسباب نزول القرآن، خالد المزيني ٤٣٤/١.

النبي محمد صلى الله عليه وسلم في المعركة، ومن ثم الفوز بالجماعة خلفه، ومن الأهداف: بيان أهمية الجماعة حتى في المعارك، ولكن في حالة الخوف، بكيفية تضمن -بعد توفيق الله تعالى - عدم ميل الأعداء على المؤمنين ميلة واحدة، ومن هنا يتبين أن الغفلة عن تربص الأعداء مذمومة بكل المقايس، وليس أدل على هذا من تذييل الآية بقوله: ﴿وَخُدُوا حِدِّرَكُم ﴾ ثم بيان أن الله تعالى أعد وهيأ للكافرين عذابًا سيهينهم بإذنه تعالى (1).

إن أعداء الله تعالى قد دأبوا على النيل من الموحدين، فهم يسعون لإضعاف المؤمنين، والاجتهاد في نزع سلاح المجاهدين، الذين هم تحت راية الإمام، والذين هم يدافعون عن دين الله تعالى؛ ولذا فإن الله تعالى شرع صلاة الخوف، وبين خطر الغفلة عن السلاح؛ حتى لا يقع المسلمون فريسة سهلة للكفار.

يقول تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ تَعَلَّمُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ تَعَلَّمُ اللَّهِ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَيَّكُمْ فَيَمِيلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَيَّكُمْ فَيْمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلُةً وَحِدَةً ﴾.

 ٨. الغفلة عن الاعتبار من سير السابقين.

إن قصص القرآن وكذلك أمثاله وأقسامه دلت باستفاضة على وجوب الاتعاظ، وإن

من أعظم ما دل على ذلك قوله تعالى عن فرعون وجثته: ﴿ فَٱلْيُوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِنَكُوْتُ لِنَكُوْتُ لِنَكُوْتُ لِنَكُونُ لِنَكُونُ لِنَكُونُ لَا لِمَنْ خَلَفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ عَنْءَايَنِنَا لَغَيْفِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٢].

حيث إن هذه الآية دلت على أن غالبية الناس يغفلون عن آيات الله تعالى التي هي مدعاة للحجر والشجر أن يصدع لها من خشية الله تعالى، رغم أن قصة فرعون وبقاء جثته خير دليلٍ وآيةٍ على قدرة الله تعالى.

٩. الغفلة عن حسن التعامل مع الخلق.

وقد ورد ذلك جليًّا في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأَهُّلُ اللَّهِ عَنْ اللَّهُ بِغَنْفِلٍ عَامَنَ تَبْغُونَ ﴾ [آل عمران: ٩٩].

حيث يأمر الله تعالى نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم بأن يستفهم من أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ لغرض الزجر والاتعاظ: فلم هؤلاء يصدون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا سئلوا عنه، قالوا: لا نجده، كذبًا منهم وصدودًا، وهم يرجون بمكة غير الإسلام؛ بل يريدون لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم هلاكًا؟ [(۲).

والمشكلة فيهم، هي أنهم يشهدون على ذلك الصد والافتراء؛ ولذلك حسن أن تكون الخاتمة بتنزيه الله تعالى عن الغفلة؛

⁽٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٣/ ١١٧.

⁽١) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي ١/ ٤٦١.

لأن أهل الكتاب غارقون في الغفلة، غير منتبهين لما سيؤولون إليه من العناء والشدة، إن هم أصروا على إجرامهم.

إسناد الغفلة للرسول الكريم

تنبغي الإشارة إلى أن الغفلة المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليست تلك التي يحاسب المرء عليها، أو التي هي منقصة تحل بالمرء إن وصف بها، فهي خارجة عن إرادة البشر ومعرفتهم عمومًا؛ إذ إنها مرتبطة بالفطرة من جهة، وبما حدث قبل ولادته صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى.

وسنذكر إن شاء الله آيات الغفلة المنسوبة إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، من خلال ثلاث نقاط، وذلك فيما يأتى:

 الغفلة قبل إرساله صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن عليه.

وقد ورد ذلك جليًّا في قوله تعالى: ﴿ نَعَنُ نَقُشُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَنذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ. لَمِنَ ٱلْغَنْفِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣].

فإن سورة يوسف عليه السلام من أولها إلى نهايتها تتحدث عن قصة ذلك النبي الذي خلد القرآن الكريم ذكره في اسم هذه السورة، فإن هذه الآية تذكر أن الله تعالى القدوس يقص على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن ثم على أمته أحسن القصص من خلال هذا القرآن الكريم الموحى إليه،

ثم تأتي الفاصلة ببيان أن هذه القصص الفضلى في حسنها وإحكام دلائلها وعبرها، ما كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم لينتبه إليها، أو أن يعلمها إلا بعد ذكرها في القرآن الكريم (۱)، فإن هذه الآية الكريمة تبين أن الغفلة مفهوم دقيق، ينتسب إليه كل الخلق، ولو نجا منه أحدٌ لكان الأولى بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، مع التذكير بأن غفلة الرسول صلى الله عليه وسلم مما لا يحاسب عليه الخلق، ولا ينسب عيبًا.

وقد بينت آية أخرى أن مما غفل عنه الرسول صلى الله عليه وسلم معرفة دقائق ما ذكره القرآن الكريم قبل إنزاله؛ لبيان عجز الخلق، وأنه ما علا شأن مخلوق فإنه يبقى بحاجة إلى خالقه.

فقد قال تعالى: ﴿وَكُذَالِكَ أَوْجَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِينًا مِلْكَانَبُ رُوحًا مِنْ أَمْرِينًا مَا كُنْتَ مَدْرِى مَا ٱلْكِلَنَبُ وَلَا ٱلْإِيمَانُ وَلَاكِن جَمَلْنَهُ نُورًا نَهْدِى بِدِهِ مَن فَشَآة مِنْ عِبَادِنَا وَإِنّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَطِ مُسْتَقِيمِ اللّه ورى: وَإِنّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَطِ مُسْتَقِيمِ الله [الشورى: ٥٢].

وتبين هذه الآية الكريمة أن أعظم طرق الوصول إلى الله هو التمسك بذلك القرآن الكريم الذي هو روحٌ من لدن رب العالمين، فهو الهادي للتي هي أقوم، فقد كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم غافلًا عن ذلك القرآن وذلك الإسلام، ولكنه ضياء من

الظلمات بشتى صورها؛ ولأنه صلى الله عليه وسلم ملتزم بتبليغ دعوة الله تعالى بما في ذلك النور الذي يشع من القرآن الكريم، فقد وصف صلى الله عليه وسلم بأنه يرشد إلى الاستقامة (٢).

نهيه عليه السلام ومن تبعه عن الغفلة.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يدلل على أن الله تعالى نهى سيدنا محمدًا صلى الله عليه عليه وسلم عن الغفلة بشتى صورها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالْأَكُر رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ مَضَرُّكًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَالْفُدُوِ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْفَفِلِينَ ﴾ [الأعراف: 7٠٥].

حيث أمرت الآية السابقة المؤمنين كافة أن يحسنوا الاستماع والإنصات للقرآن الكريم إذا قرئت آياته المتلوة، وبينت أن ذلك سبب الرحمة الواسعة من الله تعالى، وتأمر هذه الآية الكريمة الرسول محمدًا صلى الله عليه وسلم ومن ثم جميع أمته أن يستحضروا الله تعالى في أحوالهم وأقوالهم وأفعالهم، وأن تكون حال ذلك الاستحضار بتضرع وخيفة، وأيضًا تكون القراءة غير مجهور بها في فترة الغدو والأصال، ثم تذيل الآية بنهي الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ثم أمته الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ثم أمته

⁽۲) انظر: تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين ۱۷٤/٤.

⁽١) انظر: تفسير السمرقندي ١٧٨/٢.

عن الغفلة، فإن ترك الذكر غفلة (۱۱)، والنهي للرسول صلى الله عليه وسلم عن الغفلة لا يقتضي أنه صلى الله عليه وسلم قد وقع بها؛ وإنما يأتي التحذير لبيان أن القدوة الحسنة المعصوم إذا كان منهيًّا عن تلك الغفلة، فمن باب أولى أن تنتهوا أيها الناس عمومًا عنها. ". نهيه عليه السلام ومن تبعه عن اتباع الغافلين.

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْفَدَوْقِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَةٌ. وَلَا تَعَدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ثُرِيدُ يَرِيدُونَ وَجْهَةٌ. وَلَا تَعَدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ثُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوْقِ ٱلدُّنَا وَلَا تُعْلِغُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن نِيدَ الْحَهْفَ وَلَا تُعْلَمُ مُنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن يَرِينَةً وَلَا تَعْلَمُ مُنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ وَمُطًا ﴾ [الكهف: دَكْرِنَا وَالتَّبَعَ هَوَيْهُ وَكَانَ أَمْرُهُ وَمُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية والتي قبلها، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: جاء المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم عينة بن حصن، والأقرع بن حابس وأهاليهم، فقالوا: يا رسول الله، إنك لو جلست في صدر المجلس، ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم -يعنون سلمان، وأبا ذر، وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها - جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله تعالى هذه الآية،

والتي قبلها، والتي بعدها (٢)، وعلى هذا فإن الآية تأمر رسولنا محمدًا صلى الله عليه وسلم، بأن يحبس نفسه مع هؤلاء الفقراء الداعين إلى الله تعالى حبس ملازمة لهم، فهم الذين لا ينفكون عن الدعاء إلى الله تعالى ليلا ونهارًا، يبتغون وجه الله تعالى، فيد يقد عنهم، ولو بأن تنتبه إلى غيرهم تريد زينة زائفة من هؤلاء المستكبرين الكفار (٣).

يقول ابن عاشور: «وهذا الكلام تعريض بحماقة سادة المشركين الذين جعلوا همهم وعنايتهم بالأمور الظاهرة، وأهملوا الاعتبار بالحقائق والمكارم النفسية، فاستكبروا عن مجالسة أهل الفضل والعقول الراجحة والقلوب النيرة، وجعلوا همهم الصور الظاهرة»(٤).

⁽۲) انظر: أسباب النزول، الواحدي ص۲۹۷، لباب النقول، السيوطي ص۱۳۰.

⁽٣) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٣/٢٦٣.

⁽٤) التحرير والتنوير ١٥/ ٣٠٥.

⁽١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم ١٦٤٧/٥.

حيث تنهى هذه الآية الكريمة نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يطرد الفقراء المسلمين الداعين إلى الله تعالى صباح مساء مبتغين وجه الله تعالى عن مجالسته، فكل له حسابه عند الله تعالى، ولست من يحاسبهم، أو يحاسب عنهم، فإن طردتهم فإنك ساعتها تكون من الظالمين (١).

ولا شك أن هذه الألفاظ صعبةً على النبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم لمجرد أن نفسه حدثته بمجاملة سادة قريش طمعًا في إسلامهم، ومن هنا يتبين أن الغفلة باب واسع، قد يقع به خير الناس إن اجتهد في خدمة الدعوة وأعمل عقله لحظة، وجامل من لا يستحق المجاملة، أو انفك عمن يؤمر الداعية بملازمته من أولئك الداعين إلى الله تعالى، الغيورين على دينه؛ ولذلك فإن كلمات الآية حاسمة في وجوب الانفكاك عمن أغفل الله تعالى قلبه عن ذكر الله تعالى، وكان أسير هواه، وكان أمره ضياعًا(٢).

أسباب الغفلة

سبقت الإشارة إلى أن الغفلة في عمومها مذمومة، وأنها نقيض ذكر الله تعالى، وينجم عنها كثير من المتاعب وإحلال غضب الله تعالى، ومن ثم عقابه، وسنستعرض إن شاء الله تعالى – الأسباب التي تؤدي إلى الغفلة؛ حتى ينتبه لها، ويحذر منها، وهي تتلخص في سبعة أسباب:

١. الكفر.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يدلل على ذلك صراحة، في قوله تعالى: ﴿ لِلنَّ نَذِرَ قَوْمًا مُنْ اللَّهِ مَا أَنْذِرَ ءَابَآؤُهُم فَهُم عَنْفِلُونَ ﴾ [يس: ٢].

فقد ذكرت الآيات السابقة أن الله تعالى خاطب نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم مقررًا أنه من المرسلين، وأنه على صراط مستقيم، فهو الهادي إليه بإذن ربه تعالى؛ لأن هذا الصراط المستقيم الذي هو منهاج ودين، إنما هو منزلٌ من الله العزيز الرحيم؛ ثم تبين هذه الآية الكريمة أن هذا المنهاج المنزل من العزيز الرحيم إنما هو ليحذر العرب الذين لم يأت إليهم من ينذرهم ويحذرهم مما هم فيه من غرق في الكفر، من عبادة الأصنام والأوثان وعدم وجود شريعة الله تعالى بينهم (")، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، وفي الشريعة: عبارة الشيء في غير موضعه، وفي الشريعة: عبارة

⁽٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٧/ ٢٣٥٨.



⁽٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٥٦٣.

⁽۱) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص۲۵۷.

عن التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور، وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد (۱)، فلما كانت تلك حالهم، وصفهم الله تعالى بأنهم غافلون غير منتبهين لسبب وجودهم، ولا لعاقبة أمرهم، وهذه الآية هي شاهدٌ على أن الكفر سبب للغفلة في عمومها، رغم أن العرب كانوا جهلة لا يعرفون، إلا أن هذه الآية تبين جانبًا تأصيليًا تعريفيًا، وليس الحكم على العرب بعيب عندهم فحسب، وما يدل على ذلك الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ حَقَّ التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ حَقَّ النَّعَوْلُ عَلَى أَكُمْ مِ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [س: ٧].

٢. الظلم.

وإن هذا الخطاب القرآني يبين أن الله تعالى قد رأى كثرة توجه النبي محمد صلى

(١) انظر: التعريفات، الجرجاني ص١٤٤.

الله عليه وسلم إلى السماء لعل سيدنا جبريل عليه السلام يأتي بخبر من الله تعالى يأمر بتحويل القبلة؛ حيث إن حبها للنبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن عاطفيًا؛ لكنه كان حبًا شرعيًا بعدما عيرته اليهود بأنه لجأ إلى قبلتهم، واتخذت ذلك فرصةً للصد عن النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته الربانية، ولما كان هذا التوجه من القلب والجوارح فقد استجاب الله تعالى لنبيه طلبه الذي لم ينطق به تأدبًا منه عليه السلام، فقد كان يقلب وجهه إلى السماء، فتم تحويل القبلة، ثم بين أن أهل الكتاب يعلمون علم اليقين بأن ذلك حتً من عند ربهم.

وذيلت الآية الكريمة بتنزيه الله تعالى عن الغفلة عما يعمل أهل الكتاب من تحريض على دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته، وهذا التذييل يدلل على مدى الغفلة التي يعيشها أهل الكتاب؛ فرغم أنهم يعلمون علمًا لا شك فيه ولا ريب، بأن ما حدث هو من عند الله تعالى، وأن الدعوة إلى الله تعالى أصلًا هي من عند ربهم، إلا أنهم غفلوا عن معرفة ما سيؤولون إليه من غضب الله تعالى، ومن ثم عقابه.

ثم تأتي الآية الكريمة لتفصل غفلتهم الكبيرة، وهي متابعة النفس لما تشتهيه، فهم إن جاء إليهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بكل معجزة دالة على نبوته ما توجهوا إلى

القبلة نحو المسجد الحرام؛ لأنهم يعلمون -بدون معجزات- أنه صلى الله عليه وسلم على حق، ولكنهم لا يريدون التبعية له صلى الله عليه وسلم، فهم قد استغلوا توجه النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى القبلة نحو المسجد الأقصى ليبينوا أنه تبع لهم.

ثم تذيل الآية الكريمة ببيان أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم إن اتبع أهواءهم، فصار يبحث عما يرضيهم، رغم أن الله تعالى قد بين له صلى الله عليه وسلم كل الدلائل التي تجعله يحذر من مكرهم، فعند ذلك كله إن سار في ركبهم –وحاشاه أن يكون كذلك – يكون من الذين تجاوزا الحدود، فوصف عندها من الظالمين، ووصف الظالمين؛ ليبين أن من يسير في ركب أهل الكتاب يكون من الظالمين، الذين غفلوا عن الحق وانصاعوا للباطل، واتبعوا ما تشتهيه أنفسهم، وإن من اتبع الغافلين كان منهم (۱).

وإن وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه من الظالمين إن اتبع أهواءهم «فيه لطف للسامعين، وتحذير لهم عن متابعة الهوى، فإن من ليس من شأنه ذلك إذا نهي عنه، ورتب على فرض وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم

فما ظن من ليس كذلك؟!»(٢).

ومن هذا الخطاب القرآني يتبين أن الظلم الذي هو تجاوز للحدود رغم معرفة الحق، هو سبب مباشر من أسباب الغفلة التي هي متابعة النفس على ما تشتهيه، ويبرز ذلك عند معرفة أن الظالمين المحرضين ضد الحق حينما يوصفون بالغفلة، فقد غفلوا عن أن الله تعالى منزة عن ذلك، فإذا فهم ذلك فعندها يكون من يتبع الباطل ظالمًا، وغارقًا في وحل الغفلة.

٣. الإعراض عن الوحي.

وقد ورد ذلك جليًّا في قوله تعالى: ﴿ الْقَارَبُ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةِ مُعْرِضُونَ ﴿ النَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةِ مُعْرِضُونَ ﴿ النَّالَيْنِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ ال

ويتبين من هاتين الآيتين أن الفطرة السليمة تعي حجم الغفلة التي يقع بها الخلق عندما يحذرهم الله تعالى من الحساب، وتساق الأدلة على ذلك، ويتبين أيضًا أن هذا الخطاب القرآني يعظ الناس عمومًا، فيذكرهم بما سيؤولون إليه من جزاء، وعليهم أن ينتبهوا من غفلتهم وإعراضهم الذي هو حقٌ.

⁽١) انظر: نظم الدرر، البقاعي ٢/٧١٧.



⁽٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ١٧٦/.

وتفصل الآية التي بعدها سبب الإعراض عن الوحي وهو أنهم ما إن يأتهم شيء من القرآن محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة، إلا استمعوه وهم في حالة استهزاء به، فقلوبهم غافلةٌ غير منتبهة إلى وعد الله الحق(١).

 الرضا بالحياة الدنيا والركون إليها.

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْمَيْوَةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوْا بِهَا وَرَضُوا بِالْمَيْوَةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوْا بِهَا وَالْفَيْدِينَ عَنْفِلُونَ ﴿ أُولَيْمِكَ مُأْوَنَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ مَأْوَنَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس: ٧ - ٨].

والمعنى: إن الذين لا يخافون لقاء الله تعالى يوم القيامة، فهم لذلك مكذبون بالثواب والعقاب، متنافسون في زين الدنيا وزخارفها، راضون بها عوضًا من الآخرة، مطمئنين إليها، والذين هم عن آيات الله، وهي أدلته على وحدانيته وحججه على عباده في إخلاص العبادة له ﴿عَنفِلُونَ ﴾، معرضون عنها لاهون، لا يتأملونها تأمل ناصح لنفسه، فيعلموا بها حقيقة ما دلتهم عليه، ويعرفوا بها بطول ما هم عليه مقيمون، لأنهم كانوا لا يتحرون الكسب الحق، سواء

أكان هذا الكسب قولًا أو فعلًا (٢).

ومن هذه الآية الكريمة يتبين أن الإنسان إذا عاش في الدنيا محبًّا لها، معتقدًا أنه مخلدٌّ فيها، يجتهد في جمع المال والجاه فيها، فإنه يكون قد غفل عن سبب وجوده في الدنيا، وهو عبادة الله تعالى وحده، فالدنيا لا تكون خيرًا إلا إذا اعتبرها الإنسان مسجدًا للصلاح، ومنطلقًا للخير ورضا الله تعالى، فإذا غفل الإنسان سبب وجوده فإنه يغفل ما سيؤول إليه بعد الحياة، وهو الممات، فلا يعمل له، ولا يتزود له، وحينها فإنه سيلقي الله تعالى خاوي اليدين، وعاقبة أمره ذلَّ وهوانٌ، وسيخسر الآخرة، وإن ظن أنه ربح الدنيا فهو أيضًا غافل؛ لأن التقوى هي السعادة وفيها راحة البال، والجميع حينها يحبه، والمتقى لله تعالى يكثر من الذكر، والذكر نقيض الغفلة، فإنه يتحصن منها.

٥. الكبر.

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوَّا حَكُلَّ ءَايَةِ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوَّا سَبِيلَ ٱلرُّشَدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوَّا سَبِيلَ ٱلْغَي يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كُذَبُوا بِعَاينتِنَا وَكَاثُوا عَنْهَا غَنِفِلِينَ ﴾ [الأعراف:

فالله تعالى بين في هذه الآية الكريمة

⁽۱) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢/٤٥، الدر المنثور، السيوطي ٥/٢١٦.

⁽٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٥/١٥.

أن المتكبرين في الأرض بالباطل، الذين يرون الحق والباطل، فيصرون على باطلهم طريقًا ومنهجًا سوف يصرفهم الله تعالى عن التفكر في آياته الكونية والشرعية وقبولها، والسبب أنهم كذبوا بهذه الآيات بنوعيها، وتذييل الآية بأنهم غافلون مناسب لما بينته من رؤية طريقي الحق والباطل، ومع ذلك لم يتعظوا (١).

والغفلة في هذه الآية تحتمل المعنى الأشمل، وهو: متابعة النفس لما تشتهيه؛ لأن الأهواء سلاح إبليس، وهي الذنوب التي قد يغفل الإنسان عن التوبة منها؛ لأنها تكون ضمن ما تشتهي نفسه، ويتابع ما تطلبه تلك النفس، فإن الإنسان قد يعرف الحق، لكن الشهوات قد تغشي قلبه عن نعمة الانصياع القلبي والقولي والفعلي لما يطلب الشرع منه، وهذا الأمر هو الغفلة التي قد توصل إلى التكبر في الأرض؛ لاعتقاد هذا المتكبر أنه بيده مقاليد كل شيء.

ويلاحظ في هذه الآية الكريمة أنها جعلت من يرى طريق الحق وما يرشد إليه، وطريق الباطل وما يوصل إليه، ومع ذلك يلتزم الباطل، فإنه يكون في صف المتكبرين، الذين غفلوا حقيقة وجودهم وما سيؤولون إليه.

 ٦. تعطيل الحواس بعدم التفكر والتدبر والسمع والإبصار.

إن الله تعالى قد بين في كتابه العزيز أن الحواس مسؤول عنها ذلك الإنسان؛ فقد قال تعالى: ﴿ وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمُ اللَّهِ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهِ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهِ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُو

«فلا تقل: سمعت، ولم تسمع، ولا تقل: رأيت، ولم تر، فإن الله سائلك عن ذلك كله»(٢).

وإن المسلم يستحضر بقلبه ذكر الله، ثم يقر اللسان بمقتضى ذلك، ثم يستمع الحق ولا يستمع الباطل ولا يكذب بقوله سمع وهو لا يسمع، وكذلك لا يقول رأيت وهو لا يرى، أما إذا اتبع هواه، وعطل حواسه عن واجباتها في التعرف إلى الله وذكره، فعندها من المؤكد أنه ستحل عليه الغفلة المذمومة، التي تمحق الحسنات، وتربي السيئات بعدم انتباه ذلك المسلم إلى واجباته، واستبدال ذلك بالفجور والعصيان.

٧. صحبة الأشرار.

إن صحبة الأشرار تؤدي إلى الغفلة من أوسع أبوابها؛ فقد تودي بالإنسان إلى غضب الله تعالى ومن ثم عقابه.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَشُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ

⁽۱) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٧، معالم التنزيل، البغوي ٢/ ٢٣٤.



⁽۲) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم ٧/ ٢٣٣١.

كِعُولُ يَكَيْتَنِي الْقَدَّدُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿ اللَّهُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿ اللَّهُ مَا الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿ اللَّهُ الْمَلَيْ مَنْ الدِّحَرِ اللَّهُ الْمَلَيْ عَنِ الدِّحَرِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُلْمُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُلِمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْفِلِي الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْفُلِمُ الللْمُلِمُ اللَّهُ الْمُنْفُلِي الْمُنْ الْمُنْفُلِمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللللْمُلِمُ الْمُنْمُ الْمُنْفُلِمُ اللَّ

أي: «ويوم يعض الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ندمًا وأسفًا على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صدَّهُ عن سبيل ربه، يقول: يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلًا، يعنى: طريقًا إلى النجاة من عذاب الله (١٠).

ويبقى هذا الكافر الظالم يصاحبه الندم على ما فرط في جنب الله؛ فقد جاءه القرآن الكريم وذُكِّر بالله تعالى بما فيه الكفاية للطاعة وعدم الغفلة عنها، ومع ذلك فقد غفل عن الحق، واتبع هواه بالاستماع إلى صحبته الشريرة، فاستحق غضب الله تعالى، ومن ثم عقابه في الدنيا بفضيحته ومعيشته النكدة، وفي الآخرة بالندم البالغ، ومن ثم دخول النار.

الأثار المترتبة على الغفلة

تبين من خلال الدراسة أن الغفلة في عمومها مذمومة، وأنها تكون سببًا مباشرًا لغضب الله تعالى، ومن ثم عقابه.

وسنركز على الآثار المترتبة على الغفلة في الدنيا والآخرة، وذلك بالاستقصاء في آيات الله تعالى، والله الموفق والمستعان.

أولًا: الآثار الدنيوية:

وردت آيات عديدة تدلل على وبال العاقبة للغافلين في الدنيا قبل الآخرة، وذلك من خلال بيان العواقب الآتية:

 البعد عن أهل الحق فقراء كانوا أم أغنياء.

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْفَدَوْقِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجَهَةٌ أُر وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكُ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوْةِ الدُّنِيَّ وَلَا نُطِعْ مَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبُهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَبِلُهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

فقد يغفل المسلم الداعية عن بعض الجوانب المهمة من الدين، كالإعراض ولو لحظة عن أهل الحق، حتى ولو كان ذلك بسبب نصرة الدعوة، فإن الغفلة عنهم تعني ركونًا إلى العقل في جلب الناس، والدخول في مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة)، وقد جاء في الحديث الشريف عن مصعب بن سعد، قال: رأى سعدً رضي الله عنه،

⁽١) جامع البيان، الطبري ٢٦٢/١٩.

أن له فضلًا على من دونه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟!)(١).

٢. ضياع أمر الغافل.

ومعنى الآية في هذا السياق: «جعلناه غافلًا بالختم عليه، نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طاعة من جعل الله قلبه غافلًا عن ذكره، كأولئك الذين طلبوا منه أن ينحي الفقراء عن مجلسه، فإنهم طالبوا تنحية الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، وهم غافلون عن ذكر الله»(٢).

٣. الانتقام من الغافلين عن آيات الله
 في الدنيا.

وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَنْفَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغُونُا مِنْهُمْ فَالْنَصَانُواْ فَأَغُرَقْنَهُمْ فِي ٱلْمَيْرِ بِأَنْهُمْ كَذَّبُواْ بِعَايَدُنِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا خَلِفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

حيث جاءت هذه الآية بعد سرد كل الآيات البينات الدالة على صدق سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك فقد غرقوا في الغفلة؛ ولذلك استحقت إرادة الله تعالى بالانتقام منهم، فأغرقهم الله في البحر بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى، والغفلة عنها(٣).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود

عرف الغافلين عن تدبر آيات الله تعالى والتأمل فيها.

فقد قال تعالى: ﴿ سَأَصَرِفُ عَنْ اَلِنِقِ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَرُونَ فِي ٱلْآرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوَا صَيْلَ حَكُلَ الرَّوْ الْمَا وَإِن يَرَوَّا سَبِيلَ الرُّشَدِ لَا يَتَخِدُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوَّا سَبِيلَ الرُّشَدِ لَا يَتَخِدُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوَّا سَبِيلَ الرُّشَدِ لَا يَتَخِدُوهُ سَبِيلًا ذَاكِ بِأَنْهُمْ كُذَّبُوا بِعَاينَتِنَا الْغَيِّ يَتَخِدُوهُ سَبِيلًا ذَاكِ بِأَنْهُمْ كُذَّبُوا بِعَاينَتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا عَنْهَا عَنْهَا غَنْهَا غَنْهَا فَا إِلاَّ عِراف: ١٤٦].

حيث إن الغافلين – الذين كذبوا بآيات الله تعالى فهم المتكبرون – سيحل بهم عقاب، وهو إيجاب عدم القدرة على التفكر في آيات الله تعالى والاعتبار فيها، وسيرون الباطل الحق وما فيه من نجاة، وسيرون الباطل وما فيه من هلاك، ومع ذلك فإن أبوا إلا الانغماس في الباطل، وعميت بصيرتهم، وما عادوا يتفكرون فيما ينجيهم (٤).

 الغافلون سيتصفون في الدنيا بأنهم جهلة.

فقد قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَنِهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوْةِ اللهِ مَا مِنْ ٱلْكَيْوَةِ اللهِ مَا اللهُ مُنْ وَاللهِ مَا اللهُ مُنَا وَاللهِ مَا اللهُ مُنْ وَاللهِ مَا اللهُ مُنْ وَاللهِ مَا اللهُ مُنْ وَاللهِ مَا اللهُ مَنْ وَاللهِ مَا اللهُ مَا اللهُ مُنْ وَاللهِ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَنْ وَاللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَنْ وَاللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَنْ وَاللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَنْ وَاللهُ مَا اللهُ مَنْ وَاللهُ مَا اللهُ مَنْ وَاللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَنْ وَاللهُ مَنْ مُنْ وَاللهُ مَا اللهُ مَنْ مُنْ وَاللهُ مَا اللهُ مَنْ وَاللهُ مَا اللهُ مَنْ اللهُ مَنْ وَاللهُ مَا اللهُ مَنْ وَاللهُ مَا اللهُ مَنْ وَاللهُ مَنْ وَاللهُ مَا اللهُ مَنْ وَاللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَنْ وَاللهُ مَنْ وَاللهُ مَا اللهُ مَنْ وَاللهُ مَنْ وَاللهُ مَا اللهُ مَنْ وَاللهُ مَا اللهُ مَنْ مُنْ اللهُ مَا اللّهُ مَا اللهُ مِنْ مَا اللهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا الل

فمن يغفل عن الآخرة، يكن من الذين لا يعرفون سبب وجودهم في الحياة الدنيا، فلا يعرف نفسه حق المعرفة، ولا يفقه هؤلاء الغافلون من الحياة إلا «معايشهم، متى يغرسون؟ ومتى يزرعون؟ ومتى

⁽۱) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، ٤/ ٣٦، رقم ٢٨٩٦.

⁽٢) فتح القدير، الشوكاني ٣/ ٣٣٤.

[.] ۲77 /٣

⁽٤) انظر: الدر المنثور، السيوطي ٣/ ٥٦٢.

يحصدون؟»^(۱).

٦. لهو القلب عند الغافلين.

فقد قال - تعالى: ﴿ لَاهِيكَ قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّبَوْكَ اللَّهِ اللَّهُ عَلَوْبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّبَوْكَ النَّبَوْكَ النَّفِينَ فَلَكُوا هَلَ هَنَا اللَّهِ اللَّهُ اللَّلِمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ ال

حيث إن هذه الآية تبين حال الغافلين من الناس، لاهية قلوبهم، وبأنهم يصدون عن الحق بالتناجي فيما بينهم بسرية متناهية (٢).

ثانيًا: الآثار الأخروية:

إن للغفلة آثارًا كبيرة على من يغرق في وحلها في الآخرة، يوم لقاء الله تعالى.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأْتُواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَنِنَا غَنِفِلُونَ ﴿ أُولَتِهِكَ مَأْوَنَهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس: ٧-٨].

فقد بينت تلكما الآيتان أن الذي يغفل عن لقاء الله تعالى، ويركن إلى الدنيا ويرضى بمتاعها الزائل، فإن بيته الخالد يوم القيامة سيكون النار، وهذا بما كسب قلبه وقوله وعمله، فالغافلون هم من يكسبون من الكفر والتكذيب بالمعاد (٣)، ومن هذه الآية يتبين أن من آثار الغفلة في الآخرة الدخول في النار.

وقد تقدم الحديث عن هذه الآية، ويمكن القول: إن يوم القيامة سمي يوم الحسرة في هذه الآية؛ لأنه إذا ذبح الموت، ونودي بالخلود لأهل النار كما الجنة، عندها ينتهي أيَّ أملٍ في النجاة عند أهل النار، فهي الحسرة التي لا تعدلها حسرة فهو بالفعل «يوم الحسرة التي لا تعدلها حسرة فهو لا يمكن فيها التلافي والتدارك على ما فات سوى الحسرة والندامة غير المفيدة؛ إذ قضي الأمر ونزل العذاب، وقد مضى زمان امتثال المأمور به»(٤).

ومن هذه الآية يتبين أن من آثار الغفلة في الآخرة الحسرة الكبيرة؛ لعلمهم اليقيني بأنهم مخلدون في النار.

وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُرْيَوْمَ ٱلْمَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْمَشْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُوهُمْ فِي خَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم: ٣٩].

⁽١) المصدر السابق.

⁽٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٣/ ٤٦٩.

⁽٣) انظر: المصدر السابق ٢/ ٤٨٥.

⁽٤) الفواتح الإلهية، الشيخ علوان ١/ ٠٠٥.

منهج القرآن الكريم في علاج الغفلة

إن القرآن الكريم لا يذكر ذنبًا ولا معصية ولا مرضًا قلبيًّا إلا ويذكر العلاج الكافي والمناسب له، وإن الغفلة مرض يكاد يفتك بمن أصيب به، واستحكم قلبه وعقله وحياته، وعند المتابعة في آيات القرآن الكريم يتضح أنها عالجت ذلك المرض القاتل من خلال أمور عديدة، أهمها:

١. ذكر الله تعالى وعبادته.

قال تعالى: ﴿إِنَّنِى أَنَا أَلِلَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُنِى وَأَقِيمِ الصَّلَوَةَ لِلْحِصْرِى اللَّ إِنَّ السَّاعَةَ ءَائِيمَةً أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِ بِمَا تَسْعَىٰ اللَّ فَلَا يَصُدَّنَكَ عَنْهَا مَن لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَمِنهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه: ١٢-١٢].

فالله تعالى يقول لنبينا موسى عليه السلام: إنني أنا الله لا معبود بحق إلا أنا فأطعني واعبدني عبادة لا تنساني أبدًا من خلالها، والمقصود الإقامة والمكث الأبدي على تلك الصلاة وتلك العبادة، ثم التذكير بالساعة؛ للتذكير بالعاقبة فإما إلى نار وإما إلى جنة، فلا يحرفنك يا موسى عليه السلام الذي لا يصدق إتيانها، اتباعًا لهواه، فهو الرَّديُّ إلى الهاوية (١).

ولا شك أن هذا الذكر الأبدي والإقامة الدائمة على الصلاة، والتذكر الدائم للساعة

وما فيها من أهوال، كل ذلك يحصن الإنسان المسلم من الغفلة.

٢. التوكل والتفكر والتدبر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكُوَتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الْتِلِ وَالنَّهَادِ لَآيَكَتِ لِأَوْلِي الْأَلْبَكِ ﴿ اللَّهِ اللَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيدَمَا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ إِنِي خَلْقِ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ رَبِّنَا مَا خَلَقْتَ هَلَا البَطِلُا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَالنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١].

فإن مبدأ التفكر في خلق السماوات والأرض وما فيها من آيات كونية دالة على قدرته -جل جلاله-، واختلاف الليل والنهار، وما ينتج عن ذلك من فصول السنة وتغير المناخات، إن كل ذلك معجزات دالة على وجود الله تعالى، ومن ثم يصطحب الإنسان ذلك التأمل في تلك المخلوقات؛ ليعيش مع كمال الخوف مع كمال الحب لله تعالى، وإن الله تعالى قد وصف من يكون من المتفكرين في مخلوقات الله تعالى من المتفكرين في مخلوقات الله تعالى بأنهم أصحاب العقول النيرة (۱).

كيف لا؟! وهم الذاكرون لله تعالى بشتى أنواع الذكر ومزيد التوكل على الله تعالى حق توكله، والمتفكرين في خلق السماوات والأرض فيحملهم ذلك على الخوف من الله تعالى، ربنا ما خلقت هذا

⁽۲) انظر: تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين ۳٤١/۱.

⁽۱) انظر: تفسير السمرقندي ٢/ ٣٩١.

باطلاً، ننزهك يا ربنا، وأنت غنيٌ عن تنزيهنا لك، فأجرنا يا ربنا من النار، ولا شك أن هذه المشاعر تجعل من المسلم أنموذجًا تطبيقيًّا لهدي القرآن؛ فيجتنب الغفلة التي ذمها الله تعالى، والتي هي سبب دخول النار وقبل ذلك غضبه عز وجل.

 ٣. صحبة الصالحين ومجالسة الذاكرين.

قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَتُ بَعَثُمُ مَ الْمُؤْمِنَتُ بَعَثُمُ مَ الْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَن الْمُنكَّرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوْةَ وَيُؤْتُونَ عَن الْمُنكَّرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوْةَ وَيُؤْتُونَ الصَّلَوْةَ وَيُؤْتُونَ النَّهَ وَرَسُولُهُ أَوْ أَوْلَئِكَ اللَّهَ عَرْضِلُ حَكِيمُ ﴾ [التوبة: سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّه عَرْضِلُ حَكِيمُ ﴾ [التوبة: ٧].

فإن كلا الجنسين من المؤمنين المصدقين بالله ورسوله، والمؤمنات المصدقات بالله ورسوله، ولاؤهم جميعًا مبني على الأمر بالمعروف الذي فيه تعاون على الخير لأجل رضا الله تعالى، وأيضًا على النهي عن المنكر الذي فيه تعاون على اجتناب المنكر، وعلى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن من تكون حاله كذلك، فإنه يبقى متصلا بالله تعالى، كثير الذكر له فإنه يبقى متصلا بالله تعالى، كثير الذكر له وأسبابها، وهؤلاء المؤمنون والمؤمنات المتصفون بذلك يستحقون رحمة الله المتصفون بذلك يستحقون رحمة الله

تعالی^(۱).

اليقظة والحذر، والعلم والعمل.
 قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُوا خُدُوا خُدُوا جَدِيعًا ﴾
 إلنساء: ٧١].

فالله تعالى ينادي المؤمنين بأحب النداءات، وذلك بوصفهم مؤمنين، فيقول: يا من آمنتم بي وصدقتموني، احذروا واحترزوا من عدوكم، ولا تمكنوه من أنفسكم؛ فخذوا السلاح والعدة لقتال عدوكم (٢).

ولا شك أن هذا يتطلب خبرة علمية وعملية، ومن قبل ذلك يقظة بالغة، وقبل وبعد كل شيء اصطحاب معية الله تعالى، فإن من يفعل كل ذلك فقد نجا من الغفلة التي هي نذير عقاب الله تعالى.

موضوعات ذات صلة:

التفكر، الذكر، العبرة، اللعب، اللهو، النسيان

⁽۱) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٢٠٦٤.

⁽٢) انظر: لباب التأويل، الخازن ١/ ٣٩٨.